المنهج المقارن
بين النظرية والتطبيق

دراسة تأصيلية فى ضوء التراث

د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوى
أستاذ مساعد بقسم أصول اللغة
كلية اللغة العربية بالقاهرة

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد ...

فقد أشار بعض المفكرين المعاصرين الى مشكلة تتأثر بها ثقافتنا المعاصرة الى حد كبير ألا وهى تلك الحيرة وذلك التردد بين موقفين :

الأول : ويتمثل فى التراث أى نتاج الأسلاف ومبدعاتهم فى شتى مجالات العلوم والفنون والآداب .

الآخر : ويتمثل فى المعاصرة أى عالم المعرفة المنقول عن الغربيين سواء أكانوا لغويين أم أدباء أم مفكرين .

وقد ذهب هذا المفكر الى أن هذه المشكلة مصطنعة الى حد كبير وعلة اصطناعها — فى رأيه — تتلخص فى « أن طائفة من المثقفين العرب قد أوشكت أن تنحصر مصادر ثقافتها فيما تقرأ من كتب السلف فأصبح هذا المصدر الوحيد هو عالمهم الذى عاشوا فيه طلابا للعلم ، ويعيشون فيه رجالا من أصحاب هذا العلم ، ومن الطبعى لكل انسان أن يعلى من شأن مصدر علمه ومورد رزقه ، واذا كا لهذا

المصدر والمورد من يقاومونه فهم غالبا ما يكونون من طائفة أخرى انحصرت مصدرا وموردا فى عالم آخر هو عالم المعرفة المنقول عن الغربيين ، وهذه الطائفة الثانية هى التى يطلق على أصحابها أنصار المعاصرة »(١) .

ولم يكد يمضى عام على طرح هذه المشكلة حتى وجدنا لها تجسيدا حيا تمثل فى ذلك النقاش العنيف حول جدوى تطبيق المنهج المقارن على اللغة العربية(٢) ، اذ عندما حاول بعض الباحثين ممن درسوا المناهج اللغوية الحديثة تطبيق المنهج المقارن فى دراسة بعض الألفاظ العربية ، تصدى له أحد الذين يعتقدون أن هذا المنهج من مستحدثات العصر التى ابتدعها الغربيون وأن لدينا فى كتب التراث ما يغنينا عن هذا المنهج الذى لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة وكان مما قاله : « انه لو ثبت أن للعربية منفعة تجلب أو مضرة تدفع ، لكان لزاما علينا التمرد على أصحاب المدرسة اللغوية القديمة والنزوع الى ما عساه يضيف الى العربية قاعدة جديدة »(٣) .

ان هذه العبارة — رغما عن روح السخرية التى تنبعث منها — تثير مجموعة من التساؤلات يتوجب على كل من يعرف الحقيقة أن يجيب عنها احقاقا للحق ودفعا للوهم وأهم هذه التساؤلات :

---

(١) باختصار وبعض تصرف عن الدكتور زكى نجيب محمود فى مقاله « عربى بين ثقافتين » المنشور بالعدد ٢٧٤١٤ من جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٩/٥/١٦ ، الصفحة الحادية عشرة .

(٢) جرى ذلك النقاش على صفحات ملحق « التراث » بصحيفة المدينة المنورة فى الفترة من شعبان الى شوال سنة ١٤١٠هـ .

(٣) صاحب هذه المقولة هو الدكتور أحمد عبد الاله هاشم ، انظر ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة ، العدد ٨٤٠٩ بتاريخ ٢٩شوال سنة ١٤١٠هـ (ص ٧) .

أولا : هل يعارض الدرس اللغوى المقارن مع الدراسات التى نهض بها الأفذاذ من علمائنا القدماء بحيث يكون السالك لهذه الطريقة فى الدرس اللغوى متمردا على أصحاب المدرسة اللغوية القديمة ؟

ثانيا : أليس هناك حقا منفعة تجلب أو مضرة تدفع باتباع منهج المقارنة فى الدرس اللغوى ؟

ثالثا : هل من أغراض الدراسة اللغوية التى تتبع سبيل المقارنة التوصل الى قواعد « مسلوبة » كتلك التى استنبطها النحاة من كلام العرب ؟

رابعا : هل كان القدماء من علماء العربية بمعزل عن هذه السبيل وأنهم لم يعرفوا هذا المنهج ولم يطبقوه بحيث يعد فعلا من مستحدثات الحضارة الغربية ؟

انه لحرى بنا قبل أن نجيب عن هذه التساؤلات أن نتناول — فى ايجاز — التعريف بهذا المنهج كى تتضح علاقته بالمناهج الأخرى المتبعة فى الدرس اللغوى قديما وحديثا وأن نعرض لمجالات تطبيقه على اللغة العربية فى ضوء الجهود التى بذلها المعاصرون — بل وبعض القدماء — متبعين لهذا المنهج فى دراسة العربية واخواتها من اللغات التى اصطلح على تسميتها باللغات السامية(٤) .

---

(٤) اللغات السامية مصطلح يقصد به مجموعة من اللغات التى كان يتحدث بها الناس فى منطقة الجزيرة العربية وما حولها فى العراق والشام وبلاد الحبشة قديما ، وتشمل الى جانب العربية كلا من الاكادية والآرامية ومجموعة اللغات الكنعانية : العبرية والفينيقية والمؤابية والمونية ، والأوجاريتية والعربية الجنوبية والحبشية ، انظر فى ذلك : موسكاتى An introduction p. 3 . 1 .

مفهوم المنهج المقارن

يراد بالمنهج المقارن(٥) : طريقة فى البحث اللغوى يلتزم فيها الباحث باجراء موازنة بين لغتين أو أكثر لتوضيح مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما وتفسير ذلك فى ضوء نظرية عامة ، كوحدة الأصل أو اختلافه وقد ارتبط هذا المنهج باللغات الهندية الأوربية فى البداية، ثم ما لبث أن شمل لغات أخرى لا تنتمى لهذه الفصيلة ، يقول ماريو باى : « وقد كان هذا المنهج — فى أساسه — بسيطا يتمثل فى أن نحصل على أقدم الأشكال الثابتة ، وعلى أقدم الكلمات لكل فرع

---

(٥) مصطلح « المقارن » هنا يقابل المصطلح الألمانى Vergleichende واللاتينى Comparative بمعنى يوازن أو يقيس ، وتدل مادة «ق ر ن» التى اشتق منها مصطلح المقارنة فى العربية على (مطلق) الجمع بين شيئين فيما يقول ابن فارس (المقاييس ٥/٧٦) أو تدل على المصاحبة (الصحاح ٦/٢١٨١) التى « تقتضى المعاصرة الزمنية للشيئين المتصاحبين أو المقترن أحدهما بالآخر وهذا المدلول كما يقول الدكتور عبد الغفار هلال (مناهج البحث فى اللغة والمعاجم ص ٤٤) لا يتفق والموازنة المعروفة فى كتب اللغة والأدب وأن الصحيح أن يقال : الأدب الموازن أو علم اللغة الموازن » نظرا لأن الموازنات اللغوية والنقدية تتم بين أطراف غير متزامنة وفى ظروف مختلفة ومن ثم فقد كان من الأدق أن يطلق على هذا المنهج فى الدراسات اللغوية منهج الموازنة ، وقد كان برجشتراس على صواب عندما ترجم المصطلح الألمانى Vergleichende Grammatik بالمقايسة النحوية (انظر : التطور النحوى ص ٤) لأن المقايسة والموازنة يؤديان نفس الغرض بخلاف المقارنة ، ورغم عدم الدقة فى صياغة المقابل العربى « المقارن » للمصطلح الغربى Vergleichend أو Comparative الا أنه قد كتب له الذيوع والانتشار فاصبح هو المتداول فى كتب المحدثين من اللغويين العرب .

من فروع اللغات الهندية الأوربية ، ثم نضعها بعضها بجانب بعض ، ونصف ما بينها من تشابهات واختلافات ، ثم نحاول أن نركب — عن طريق استخلاص الأشياء المشتركة غالبا — الصيغة المحتملة للغة الأم »(٦) .

وقد عدل العلماء فيما بعد من هذه الأسس فلم يعد من الضروري أن يكون الهدف التوصل الى أصول مشتركة للغات موضوع الدرس « وان كان هذا يحدث غالبا » وأصبح من الممكن « كذلك أن يقارن المرء بين لغتين حديثتين دون غير اشارة الى تطوراتهما أو أصولهما التاريخية ، وذلك بقصد الوصول الى مواطن الشبه والاختلاف بينهما في صورتهما الحاضرة(٧) .

ان الدراسة التي تلتزم بهذا المنهج قد أطلق عليها في البداية « النحو المقارن » Vergleichende Grammatik وقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى على يد شليجل ١٨٠٨م عندما نشر كتابه المشهور « عن اللغة والمعرفة عند الهنود »(٨) ، ثم ظهر مصطلح آخر يرتبط فيه هذا المنهج بالفيلولوجيا أو فقه اللغة وقد ورد هذا الاستعمال عند دي سوسير الذي اعتبر « فقه اللغة المقارن » بداية

---

(٦) أسس علم اللغة ص ٢٣٣ ، وانظر لنفس المؤلف ، لغات البشر ص ٨ .

(٧) ماريوباي ، أسس علم اللغة ص ٣٦ .

(٨) يانسن Handbuch Der Ling. S. 549

وممن استعمل هذا المصطلح كارل بروكلمان في كتابه GVG ولايزال مستعملا حتى الآن في بعض المؤلفات ، انظر مثلا موسكاتي في كتابه An Introduction.

المرحلة الثالثة من المراحل التي مر بها علم اللغة قبل أن يحدد هذا العلم هدفه الحقيقى الخاص به ؛ اذ يقول فى الفصل الأول من كتابه علم اللغة العام « بدأت المرحلة الثالثة عندما اكتشف العلماء أن اللغات يمكن مقارنة بعضها ببعض ، وكان هذا الاكتشاف بداية « فقه اللغة المقارن » Comparative Philology ، وذكر دى سوسير منوها بجهود بوب Bopp فى دراسته عن النظام التصريفى للغة الستسكريتية مقارنا باللغة الألمانية والاغريقية واللاتينية : لقد أدرك هذا العالم أن مقارنة اللغات التى تنحدر من أصل واحد يمكن أن تصبح موضوعا لعلم مستقل بذاته ، فلم يسبق لأحد أن قام بتفسير لغة باللجوء الى لغة أخرى ، وتوضيح صيغ لغة ما ، بالاعتماد على صيغ لغة أخرى »(٩) .

وأخيرا ظهر مصطلح « علم اللغة المقارن » عنوانا لذلك الفرع من فروع علم اللغة الذى يعتمد على منهج المقارنة وممن استعمل هذا ماريوباى(١٠) ونولدكه وغيرهما .

موضوع المقارنة وامكاناتها :

يخضع للمقارنة فى اللغات التى تدرس وفقا لهذا المنهج جميع المستويات أو النظم الفرعية للغة ونعنى بذلك مستويات : الأصوات والبنية الصرفية والتراكيب النحوية والمفردات ، وبذلك يصبح موضوع علم اللغة المقارن أو الدرس اللغوى الذى يعتمد على منهج المقارنة «دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية»(١١) ونظرا لأهمية الاشارة الى موضوع المقارنة فقد أدخلها بعض

(٩) علم اللغة العام لدى سوسير (ت يوئيل يوسف عزيز) ص ٢٠

(١٠) انظر مثلا أسس علم اللغة ص ٣٦

(١١) الدكتور محمود حجازى ، أسس علم اللغة العربية ص ٣٤ .

اللغتين عنصرا في تعريفهم للمنهج المقارن(١٢) . وقد كان ينبغي الاشارة الى المنهج المقارن عند الحديث عن هذه المستويات الأربعة التي تعرف بمعلم مستويات التحليل اللغوي » عندما تحدث مارتيني عن هذه المستويات الأربعة في دراسة اللغة على ما جرى عليه العرف ـ سواء كان المنهج وصفيا أو تاريخيا ـ تدرج في أربعة مستويات هي : ١ ـ مستوى الأصوات ٢ ـ مستوى الصرف ٣ ـ مستوى النحو ٤ ـ مستوى المفردات(١٣) .

وكان الأصح أن يقال سواء كان المنهج وصفيا أو تاريخيا أو مقارنا ، ولعله يقصد بالمنهج التاريخي ما يشمل المقارن حيث اعتد في موضع آخر من كتابه « أسس علم اللغة » بالمنهج المقارن أحد منهجين يعتمد عليهما علم اللغة التاريخي(١٤) .

وفي موضع آخر اشارة الى أن علم اللغة المقارن بمفهوم القرن التاسع عشر يعني تماما علم اللغة التاريخي(١٥) وبهذا نستطيع أن نفسر اقتصاره على المنهجين الوصفي والتاريخي في دراسة هذه المستويات الأربعة .

انه رغما عن تداخل هذه المستويات وتشابكها فان دراسة بعضها أمر ممكن من الوجهة العملية ، وهكذا وجدنا من العلماء الذين اتبعوا

---

(١٢) انظر التعريف الثاني للمنهج المقارن كما أورده الدكتور عبد الغفار هلال في « مناهج البحث في اللغة والمعاجم ص ٤٤ » .

(١٣) انظر في هذه المستويات وتداخلها ، أسس علم اللغة ص ٤٣ ، ٤٤ .

(١٤) أسس علم اللغة ص ١٦٤ وما بعدها .

(١٥) أسس علم اللغة ص ٥٨ .

المنهج المقارن من يدرس هذه المستويات جميعا كما فعل بروكلمان(١٦) أو اثنين منها كما فعل موسكاتى(١٧) وربما اقتصر بعضهم على جانب واحد كما فعل بوب فى كتابه عن النظام الفعلى فى السنسكريتية(١٨) •

أما امكانات المقارنة فيمكن ايجازها فى ثلاث امكانات هى :

١ ــ المقارنة المكانية •

٢ ــ المقارنة العرقية أو السلالية •

٣ ــ المقارنة النوعية •

أما المقارنة المكانية فيقصد بها اظهار القرابة بين اللغات من خلال البعد الجغرافى وبحث الامتدادات المكانية للظواهر الصوتية والمعجمية والنحوية فى اللغات المقارن بينها ، وفيما يتعلق بالمقارنة العرقية أو السلالية فيراد بها تأكيد علاقات القربى من خلال ملاحظة التطورات التاريخية « للشعوب التى تدرس بين اللغات الخاصة بها » ومن حيث المقارنة النوعية فانها تشمل نوعين : الأول مقارنة آنية أو متزامنة للنظم اللغوية الأساسية أو الفرعية والآخر مقارنة تعاقبية أى الأزمان المختلفة للتحولات من نظام الى آخر كما تعنى بمسائل تحول النظم اللغوية(١٩) •

---

(١٦) انظر : بروكلمان GVG

(١٧) انظر : موسكاتي • An Introduction

(١٨) انظر كتاب ف • بوب F. Bopp, Uber das Conjugationssystem der Sanskritsprache

(١٩) باختصار وبعض تصرف عن :

رودي كونراد R. Conrad, Kleines Wörterb. S. 158

المنهج المقارن وعلم التقابل اللغوى :

علم التقابل اللغوى أو علم اللغة التقابلى هو الترجمة العربية لما يعرف فى الدراسات الغربية بـ Contrastive ling • وهو علم يبحث فى أوجه الاختلاف بين اللغات(٢٠) فى نظمها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وهو يشكل فرعا أساسيا من فروع علم اللغة التطبيقى الذى يهدف الى المساعدة فى تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها وذلك بغض النظر عن كون هذه اللغات مما ينتمى الى فصيلة لغوية واحدة أولا •

لقد جعل بعض المحدثين من اللغويين العرب لهذا الفرع من علم اللغة التطبيقى منهجا خاصا به أطلق عليه « المنهج التقابلى واعتبره لذلك أحدث المناهج فى علم اللغة وبذلك تصبح مناهج البحث أربعة هى المنهج المقارن والمنهج التاريخى والمنهج الوصفى والمنهج التقابلى(٢١) •

ان هذا المنهج الذى أشار اليه الباحث (الدكتور محمود حجازى) يتفق تماما أو جزئيا مع المنهج المقارن فهو مثله تماما عندما يتناول أوجه الاتفاق والاختلاف بين اللغتين المدروستين ولكن عندما يكتفى ببيان أوجه الاختلاف فانه يلتقى معه حتى منتصف الطريق ، يقول الدكتور حجازى : « وموضوع البحث فى علم اللغة التقابلى — أحدث

---

(٢٠) انظر فى معنى Constrastive كل من :
هانس : Handbuch der ling. S. 236
وجوتس / بورجمشت فى : Einfuhrung, 5.70

(٢١) أضاف ماريوبوى الى المناهج الثلاثة الأولى منهجا رابعا هو المنهج الجغرافى (انظر أسس علم اللغة ص ١٨١) •

مناهج علم اللغة ــ (فى رأيه) هو المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين أو لغة ولهجة أى بين ستويين لغويين متعاصرين ، ويهدف علم اللغة التقابلى الى اثبات الفروق بين المستويين ، ولذا فهو يعتمد أساسا على علم اللغة الوصفى »(٢٢) ويرى الدكتور حجازى أن هناك فرقا بين علم اللغة المقارن وعلم اللغة التقابلى يتمثل فى « أن علم اللغة المقارن يقارن اللغات المنتمية الى أسرة لغوية واحدة ويهتم فى المقام الأول بالاستخدام الأقدم فى هذه اللغات للوصول الى اللغة التى خرجت عنها كل هذه اللغات ولذا فعلم اللغة المقارن ذو هدف تاريخى يحاول به كشف جوانب من الماضى البعيد ، أما علم اللغة التقابلى فلا شأن له بهذه الاهتمامات التاريخية ودراساته ذات هدف تطبيقى فى تعليم اللغات ، ولذلك فالدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين »(٢٣) .

ان نظرة الدكتور حجازى الى علم اللغة المقارن ومن ثم منهج البحث المقارن قد تأثرت الى حد كبير بالمفهوم السائد لهذا العلم فى القرن التاسع عشر حيث كانت الاهتمامات التاريخية هى المسيطرة على روح البحث ، بيد أن هذه النظرة قد تغيرت فى القرن العشرين تغيرا كبيرا فأصبح ممكنا أن يدخل فى اطار هذا المنهج مقارنة اللغات الحديثة بغض النظر عن انتمائها لأسرة لغوية واحدة وذلك بهدف المساعدة فى تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها يقول ماريوباى : « ومقارنة اللغات ــ على كل حال ــ يمكن القيام بها الآن بطريقة وصفية بالنسبة للغات

---

(٢٢) أسس علم اللغة العربية ص ٤٠ وممن سار على نهجه الدكتور البدراوى زهران فى : مقدمة فى علوم اللغة ص ١٣٧ والدكتور كريم حسام الدين فى : أصول تراثية ص ١٤٣ .

(٢٣) مدخل الى علم اللغة ص٢٧ .

العالم الحديثة بقصد الوصول الى مواطن الاتفاق والاختلاف فى نماذجها الصوتية وتراكيبها النحوية ورصيدها اللغوى من المفردات ، ولعله من الحق أن يقال : أن علم اللغة المقارن فى صورته المبسطة يدخل فى دراسة كل اللغات الأجنبية وتدريسها مالم تتجنب هذه المقارنة بطريقة مباشرة عمدية »(٢٤) وهكذا فانه « من الممكن أن يقارن المرء بين لغتين حديثتين من غير اشارة الى تطوراتهما أو أصولهما التاريخية وذلك بقصد الوصول الى مواطن الشبه والاختلاف فى صورتهما الحاضرة »(٢٥) .

ان هذه النظرة الجديدة الى مقارنة اللغات وان تأصلت فى القرن العشرين الا أن جذورها تمتد أيضا الى القرن التاسع عشر حيث ابتعدت المقارنة فى بعض الأحيان عن الأهداف التاريخية وقد كتب « فلهلم فون همبولد أول نحو مقارن للغات الاندونيسية والميلانيزية ، ولم يكن لديه أى معلومات تاريخية لكتابة ذلك النحو لأن تاريخ تلك اللغات كان مجهولا تماما » (٢٦) .

ان ما ذكره هذان العالمان « ماريوباى وكاسيرر » ليؤكد أن دراسة اللغات الحديثة بقصد الوصول الى مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما مما يدخل فى اطار المنهج المقارن ولا يمنع ذلك بالطبع من تخصيص اللغات الحديثة بفرع دراسى يخصها هو علم اللغة التقابلى ولكن ذلك لا يسوغ اعتبار التقابل منهجا من مناهج البحث وحتى لو سلمنا جدلا باختلاف العلمين أو بالأحرى الفرعين « علم اللغة

---

(٢٤) أسس علم اللغة ص ٥٩ .
(٢٥) السابق ص ٣٦ .
(٢٦) ارنست كاسيرر ، فلسفة الحضارة الانسانية (ترجمه احسان عباس) ص ٢١٥ .

المقارن ، وعلم اللغة التقابلي » فان ذلك يكون خلافا في موضوع البحث أو هدفه وليس خلافا في المنهج أو الطريق.

ونخلص من ذلك الى أن المنهج المقارن يستخدم في فرعين اثنين من فروع علم اللغة أحدهما : علم اللغة المقارن بالمعنى السائد ابان القرن التاسع عشر » والآخر : علم اللغة التقابلي ، واذا كان الفرع الأول ذا هدف نظرى فان الثانى ذا غاية عملية تطبيقية ومما تجدر ملاحظته هنا أن الباحثين الغربيين قد عمدوا في السنوات الأخيرة عن المصطلح Contrastive ling. أى علم اللغة التقابلى نظرا لأنه يشير فقط الى وضع الخلاف بين اللغتين أو اللغات التى يراد المقارنة بينها الى مصطلح آخر أكثر دقة لأنه يشير الى أوجه الشبه والاتفاق معا وهذا المصطلح الجديد هو Confrontative ling (٢٧) ويمكن ترجمته بـ : علم الموازنات اللغوية التطبيقية ، وهو يتفق تماما من حيث منهج البحث مع علم اللغة المقارن .

علماء العربية والدراسات المقارنة :

لم يشر مؤرخوا العلوم اللغوية الى ذلك الدور الرائد الذى نهض به العلماء العرب فى مجال البحث اللغوى المقارن وقد كان ذلك منهم اما تعصبا أو جهلا بها قليلا للحقائق التى يعرفها الكثيرون « جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » وها هو ذا كان فى تاريخه

---

(٢٧) انظر فى هذا المصطلح الجديد نسبيا :
جوتس / بورجشمت Einfuhrung. S. 71
وقارن ب : يانسن Handbuch der ling. S. 236
وانظر فى المعنى اللغوى لهذا المصطلح (اللاتينى الأصل) المعجم الكبير فى الكلمات الدخيلة (فى الألمانية) Grosses FWB. S. 204 .

للحضارات السامية ينسب لليهود ادراك العلاقة بين العبرية والعربية فيقول : « فاليهود فى أسبانيا حين اتصلوا بالعرب المتوغلين فى أوربا عبر شمال افريقيا ، استطاعوا ملاحظة الشبه بين لغتهم ولغة العرب الفاتحين»(٢٨) وتناسى جهلا أو عمدا ملاحظةالخليل بن أحمد عن الشبه بين العربية والكنعانية التى هى أصل اللغة العبرية ، يقول الخليل :

« وكنعان بن سام بن نوح اليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية (٢٩) .

ونستطيع أن نجمل النتائج التى توصل اليها العلماء العرب فى مجال علم اللغة المقارن وعلم الموازنات اللغوية التطبيقية فى النقاط التالية :

١ — فى مجال وحدة الأصل فى لغات الفصيلة الواحدة .

يرجع مؤرخوا علم اللغة الفضل فى اكتشاف وحدة الأصل فى اللغات الهندية الأوربية الى السير وليام جونز « ١٨٨٦ م » عندما كشف عن العلاقة بين السنسكريتية واللغات الأوربية (٣٠) ، والى شلوتسر « ١٧٩٨ م » فيما يتعلق بوحدة الأصل فى العبرية والعربية والآرامية « السوريانية » والحبشية (٣١) .

---

(٢٨) الحضارات السامية لموسكاتى ، ترجمة يعقوب بكر ص ٤٢ .

(٢٩) انظر ملاحظة الخليل فى كتاب العين ٢٠٥/١ (ت : المخزومى والسامرائى) .

(٣٠) دى سوسير ، علم اللغة العام ص ١٩ ، وماريوباى ، أسس علم اللغة ص ٢٣١ .

(٣١) الحضارات السامية لموسكاتى ص ٢٩٩ ، وعلم اللغة العربية للدكتور محمود حجازى ص ١٣٢ .

ولكن الحقيقة الناصعة البياض هى أن الفضل فى اكتشاف وحدة الأصل فى العربية والعبرية والسوريانية انما يرجع الى العالم العربى ابن حزم الأندلسى « ٤٥٦ هـ » عندما قال « ان الذى وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السوريانية « الآرامية » والعبرانية والعربية التى هى لغة مضر وربيعة لا لغة حمير واحدة ، تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرس كالذى يحدث من الأندلسى اذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيروانى اذا رام لغة أهل الأندلس ومن الأندلس اذا رام نغمتها .. » وبعد أن علل لهذا الاختلاف بحدوث نظيره فى لهجات اللغة الواحدة خلص الى القول بأن « من تدبر العربية والعبرية والسوريانية أيقن أن اختلافها انما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة فى الأصل » (٣٢).

ان مقولة ابن حزم هذه لم تلق من الدعاية على المستوى العالمى ما وجدته آراء جونز أو شلوتسر لا لسبب الا لقصورنا فى الكشف عنها أو تقصيرنا فى الدعاية لها من ناحية وبراعة الدعاية الغربية الدائبة من ناحية أخرى .

لقد تلقف اليهود فى الأندلس أفكار ابن حزم فتصدى بعضهم لابراز العلاقة بين العبرية والعربية أو العبرية والسوريانية وكان من الأعمال البارزة فى هذا المجال ما كتبه ابن هارون عن « الموازنة بين العبرية والعربية فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى « الخامس الهجرى » وما كتبه يهودا بن حيوج عن « العلاقة بين العبرية

---

(٣٢) الاحكام فى أصول الأحكام ١/٣٠ ، وقد نقل الدكتور رمضان عبد التواب عن السهيلى وأبى حيان الأندلسى نصوصا توافق ما قاله ابن حزم ، انظر فصول فى فقه العربية ص ٤٤ .

والسوريانية « الآرامية » (٣٣) وليس من المستبعد بحال أن يكون شلوتسر وهو أيضا يهودي قد اطلع على هذه الأعمال وتأثر بها عندما كشف في العصر الحديث عن العلاقة بين العربية والعبرية والسوريانية والحبشية (٣٤).

٢ ـ مجال الصوتي :

ذكرنا قبلا أن المنهج المقارن يمكن تطبيقه في فرعين من فروع الدراسة اللغوية هما : علم اللغة التاريخي المقارن (٣٥) وعلم الموازنة اللغوية التطبيقية (٣٦) وقد كان للعلماء العرب في كلا الميدانين المجالين جهود موفقة لم يكشف النقاب عن تفاصيلها بعد وإن كانت النتائج التي توصلوا اليها ودونوها في كتبهم تنبئ بها وتنبئ عنها ومن أهم هذه النتائج :

---

(٣٣) انظر في تفصيل ما كتبه اللغويون اليهود الذين تأثروا بالتراث العربي وكتبوا به « النصوص المتصلة بسيدنا يوسف عليه السلام في القرآن الكريم والتوراة » للدكتور حامد الشنبري جـ١ ص٢٧ .

(٣٤) يرجع الفضل في اكتشاف العلاقة بين العربية والحبشية للمرة الأولى أيضا الى عالم عربي أندلسي هو أبو حيان الأندلسي ٧٥٤هـ صاحب البحر المحيط ، انظر في ذلك البحر المحيط ٤/٢٦٣ ومابعدها .

(٣٥) تسمية الفرع الأول هكذا هي من صنيع اللغويين الأسبان وهم رواد هذه الدراسة في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهم لا يتحدثون عن المنهج / أو علم اللغة / أو النحو التاريخي والمقارن الا معا فيقولون مثلا Vergleichende historische Grammatik

انظر في ذلك : ياتسن Handbuch der ling. S. 540

(٣٦) نسبة الى صنيعنا وهي ترجمة للمصطلح الحديث Comparative ling

(أ) فى المقارنات السامية :

« وهذه المقارنات مما يبحث فى الفرع الأول » ترحل العلماء العرب الى اثنين من أهم القوانين الصوتية التى تحكم العلاقة بين العربية والعبرية من جانب والآرامية من جانب آخر ، ويتناول القانون الأول العلاقة بين السين والشين فى العربية والعبرية وقد نقله الشيخ تاج الدين بن مكتوم عن نصر بن محمد بن أبى الفتون النحوى ونصه : « سين العربية شين فى العبرية فالسلام شلام Sālom واللسان لشان Lason الخ » (٣٧) . أما القانون الثانى فانه يتعلق بالظاء والطاء فى العربية والآرامية التى كان يطلق العلماء العرب على المتحدثين بها فى القرون الأولى للهجرة اسم « النبط » أو « السوريان » ومن ثم فقد تحدثوا عن السوريانية أحيانا وعن كلام النبط فى أحيان أخرى ، وقد نقل عن الأصمعى قوله : والنبط تجعل الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون برطلة وانما هو ابن الظل وسموا الناظور ناطورا لأنه ينظر » .

---

(٣٧) المزهر للسيوطى ١/٢٧٥ ويسرى هذا القانون على جميع الكلمات التى تشتمل على سين ناشئة عن شين فى السامية المشتركة كما فى الأمثلة التى ذكرها ، وكما فى كلمة « خمس » التى يقابلها فى العبرية Hamés ، أما السين العربية التى كانت فى الأصل السامى المشترك سينا أيضا فانها ظلت كذلك فى العبرية وذلك كما فى كلمة كسوة العربية التى يقابلها فى العبرية Kesùt وهناك نوع آخر من السين كان موجودا فى السامية المشتركة وهو ما يسمى بالسين الجنبية أو الشجرية التى تحولت الى شين فى العربية وظلت كما هى فى العبرية مثال ذلك كلمة Ceser التى يقابلها فى العربية كلمة « عشر » .

انظر فى هذه القوانين الصوتية : موسكاتى An Introduction, p. 34 وقارن بيرجشتراسر Einfuehrung S. 5

وقد وجدت مقولة الأصمعي هذه آذانا صاغية من جمهور البصريين مما يعني أن هذا القانون الصوتي كان مشهورا ومتداولا عند اللغويين ولم يعترض عليه سوى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب « فيما يحكيه عنه ابن جني » يقول أبو الفتح « اعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط واذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا البرطلة وانما هو ابن الظل وقالوا ناطور وانما هو ناظور ؛ فأعول من نظر ينظر ، كذا يقول أصحابنا ، فأما أحمد بن يحيى فانه قال ناطور ونواطير مثل حاصود وحواصيد والنواطر مثل الحواصد وقد نطر ينطر ، فصحح أمر الظاء كما ترى » (٣٩) .

وعندما نريد صياغة كلام ابن جني في صورة قانون صوتي كما يفعل المحدثون قلنا : ان الظاء « السامية المشتركة » لا توجد في كلام النبط فاذا وردت كلمة فيها ظاء تحولت هذه الظاء طاءا في النبطية « الآرامية » وظلت ظاء كما هي في العربية مثال ذلك كلمتي نظر والظل التي احتفظت العربية فيهما بالظاء الموروثة وتحولت هذه الظاء الى طاء في الآرامية . « التي كانت تسمى عندهم بالنبطية » (٤٠) .

(ب) في الموازنات التطبيقية :

لقد أولى العلماء العرب تعليم العربية للشعوب التي دخلت في الاسلام قدرا كافيا من الرعاية ومن ثم فقد وازنوا « في المجال

---

(٣٨) الجواليقي ، المعرب ص ٣٣٤ ، وانظر أيضا ص ٦٨ «البرطلة» .

(٣٩) ابن جني ، سر صناعة الاعراب ١/٢٢٧ .

وانظر في هذا القانون :موسكاتي An Introduction, p. 28

(٤٠) انظر في التسميات المختلطة للآراميين ولغاتهم عند العرب بحث نولدكه Die Namen der Aramaischen In ZDMG (1871) S .113

الصوتى » بين العربية وغيرها وخاصة الفارسية ، وأماطوا اللثام عن القدر المشترك بين اللغتين وعن مناحى الاختلاف ولاثبات هذه الحقيقة فاننا نسوق الأمثلة الآتية :

ـ تحدث أبو حاتم الرازى عن الحروف العربية التى لا توجد فى الفارسية والحروف الفارسية التى لا توجد فى العربية •

ـ تحدث ابن سينا عن الحروف الأعجمية التى لا نظير لها فى العربية •

ـ تحدث ابن جنى عن نوع من المقاطع الصوتية لا تجيزه العربية ولكنه موجود فى الفارسية •

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى تحدث الرازى عن الزيادة والنقصان فى الحروف أو الوحدات الصوتية بين اللغات وبعد أن تحدث عن اعتدال العربية فى عدد حروفها ذكر أن « الفارسية قصرت عن : العين والغين والحاء والقاف والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والثاء وأنه لا يجد فى لغتهم الأصلية كلام يتكلم به على هذه الحروف »(٤١)•

أما الحروف التى اختصت بها الفارسية فقد ذكر منها أحرفا ذكر أنها مولدة وأن لها نظائر أصلية « تتفق مع العربية » فذكر « أنهم ولدوا بين الباء والفاء حرفا فقالوا للرجل باى (بالباء المهموسة) وللبستان باغ فالباء التى فى « باى بمعنى » الرجل حيزها بين الفاء والباء والتى

---

(٤١) كتاب الزينة ج ١ ص ٦٥ ، وقد تحدث عن طريقة الفرس فى تعجيم هذه الحروف اذا اضطروا الى أن يتكلموا بكلمة عربية أو معربة في بنيتها حرف من هذه الأحرف وذلك أنهم كانوا يقلبون هذا الحرف الى حرف قريب الحيز والمدرج منه أو الى حرف يشمونه ذلك المعنى كما فى قلبهم الحاء الى الهاء والعين الى الهمزة •

فى اسم البستان « باغ » هى الباء الأصلية وولدوا حرفا بين القاف والكاف فقالوا للقبر كور وقالوا للأعور كور فالكاف التى فى اسم القبر حيزها بين القاف والكاف « العربية » والكاف التى فى اسم الأعور هى الكاف الأصلية ، وولدوا بين الكاف والجيم حرفا فقالوا للبشرة جهرة وقالوا للنهر جوى فالجيم التى فى اسم البشرة مولدة والتى فى اسم النهر هى الأصلية » (٤٢) .

وقد أوضح أبو حاتم أن هذه المقارنات لم تكن مقصورة — على عهده — على العربية والفارسية ولكنها شملت أيضا العبرانية والسوريانية ولم يكن اقتصاره على الفارسية الا لأنه كان يجيدها أكثر منهما ولكنه عندما ناظر من يحكم أمر هاتين اللغتين وجد أن النتيجة واحدة وهي الاختلاف بين العربية وكل منهما بالزيادة أحيانا والنقصان أحيانا أخرى يقول رحمه الله :

« واذا اعتبرت سائر الكتابات (٤٣) واللغات وجدت فيها من الزيادة والنقصان مثل هذا أو قريبا منه فقد ناظرت عليه أقواما عرفوا العبرانية والسوريانية فوجدت الأمر قريبا مما ذكرنا وتركنا الاستقصاء اقتصارا على ما قد شرحناه من اللغة الفارسية لأنا لم نحكم الأمر فى تلك كاحكامنا فى هذه اللغة » (٤٤) .

وفيما يتعلق بجهود ابن سينا فى هذا المجال ذلك الفصل الذى عقده فى « اسباب حدوث الحروف » للأصوات الشبيهة بالحروف

---

(٤٢) كتاب الزينة ١/٦٥ .

(٤٣) تعنى هذه العبارة أن الموازنة لم تكن قاصرة عى الأصوات وانما شملت أيضا الرموز الكتابية لهذه الأصوات مما يعنى أن الموازنة كانت تشمل طرق الكتابة أيضا .

(٤٤) السابق ص ٦٦ .

العربية وليست فى لغة العرب (٤٥) وقد ذكر من ذلك ستة عشر حرفا، وتحدث عن مخارج هذه الحروف وصفاتها واللغات التى توجد بها ونكتفى بذكر الأمثلة الآتية :

« ومن ذلك سين زائية تكثر فى لغة أهل خوارزم ، وتحدث بأن تتهيأ الهيئة التى مثلها تحدث السين ، ثم يحدث فى العضلة الباطحة للسان ارتعاد كما يحدث فى الزاى «يقصد هنا اهتزاز الأوتار الصوتية»، ويلزم ذلك الارتعاد مماسات خفيفة غير محسوسة يحتبس لها الهواء احتباسات غير محسوسة فتضرب السين بذلك الى مشابهة الزاى»(٤٦)•

وقال أيضا :

« وههنا لام مطبقة نسبتها الى اللام المرققة نسبة الطاء الى التاء وتكثر فى لغة الترك ••• » (٤٧) •

« ومن ذلك الباء المشددة الواقعة فى لغة الفرس عند قولهم « بيروزى » وتحدث بشد قوى للشفتين عند الحبس وقلع بعنف وضغط الهواء بعنف » (٤٨) •

لقد أسهم أبو الفتح عثمان بن جنى أيضا فى هذه الموازنات اللغوية التطبيقية عندما تحدث عن أنه لا يجوز فى العربية أن يبتدأ بالساكن أى بصامت لا تعقبه حركة لأن هذا ينتج مقطعا خارجا عن النظام المقطعى للعربية (ص ص + ح) ولكن هذا البناء يرد فى كلام العجم ، يقول ابن جنى :

---

(٤٥) انظر الفصل الخامس من كتاب ابن سينا ص ٢٣ ـ ٢٥ •

(٤٦) أسباب حدوث الحروف ص ٢٤ •

(٤٧) السابق ص ٢٥ •

(٤٨) السابق ، نفس الصفحة •

« ورأيت أبا علي (الفارسى) كغير المستوحش من الابتداء بالساكن فى كلام العجم ولعمرى انه لم يصرح باجازته ، لكنه لم يتشدد فيه تشدده فى افساد اجازة ابتداء العرب بالساكن قال : وذلك أن العرب قد امتنعت من الابتداء بما يقارب حال الساكن وان كان فى الحقيقة متحركا يعنى همزة بين بين ، قال : فاذا كان بعض المتحرك لمضارعته الساكن لا يمكن الابتداء به ، فما الظن فى الساكن نفسه ! قال : وانما خفى حال هذا فى اللغة العجمية لما فيها من الزمزمة(٤٩)، يريد أنها لما كثر فيها ذلك ضعفت حركاتها وخفيت وأما أنا فأسمعهم كثيرا اذا أراد المفتاح قالوا : كليد ، فان لم يبلغ أن تكون ساكنة فان حركتها جد مضعفة حتى انها ليخفى حالها على » (٥٠) .

واذا كان أبو على لم يستوحش من الابتداء بالساكن فى لغة العجم فان أبا الفتح يعلل لاجتماع ثلاثة سواكن فى لغتهم فى نحو «ماست» للبن ، و « آرد »(٥١) للدقيق « وهو ما يسمى فى الاصطلاح

---

(٤٩) الزمزمة كما جاء فى الصحاح (٥/١٩٤٥) كلام المجوس عند أكلهم .

(٥٠) الخصائص ١/٩٢ ، وقد صرح بجواز ذلك فى لغة العجم فى ج ٣ ص ٤٩٧ .

(٥١) السابق ١/٩٠ يقول ابن جنى : ومن طريف حديث اجتماع السواكن شيء وان كان فى لغة العجم فان طريق الحس موضع تتلاقى عليه طباع البشر ويتحاكم اليه الأسود والأحمر وذلك قولهم : آرد للدقيق وماست للبن فيجمعون بين ثلاثة سواكن الا اننى لم أر ذلك الا فيما كان ساكنه الأول ألفا وذلك أن الألف لما قاربت بضعفها وخفائها الحركة صارت ماست كأنها مست ، قلت : ان حكم الواو والياء اللتين هما حرفا مد كحكم الألف وذلك كما فى كوشت للحم وبيست للعدد عشرين ، انظر هامش ٥ من الصفحة المذكورة حيث أورد المحقق هذا الاستدراك من الجاربردى على ابن جنى وقد أصاب فى ذلك نقلا وعقلا .

الحديث بالمقطع الطويل المزدوج الاغلاق الذى يتكون من (ص + ح ح + ص ص) فهذا اللون من المقاطع مخصوص فى العربية بحالة الوقف على الكلمات المضعفة التى على وزن فاعل كما فى حاج وماد •

٣ ــ فى المجال الصرفى :

لم يقتصر تطبيق المنهج المقارن عند اللغويين العرب على الجانب الصوتى وانما شمل أيضا بعض جوانب النظام الصرفى حيث وازنوا بين الوحدات الصرفية أو ما يسمى بـــ « المورفيمات » Morphems فى العربية وأخواتها من الساميات التى كانت معروفة لهم ، فمن ذلك:

(أ) أداة التعريف بين العربية والسوريانية •

استطاع أبو عبيد القاسم بن ســـلام « ٢٢٤ هـ » الكشف عن أوجه الاختلاف بين العربية والسوريانية فيما يتعلق بأداة التعريف وأصاب كبد الحقيقة عندما قرر أن استخدام الألف واللام فى بدايـــة الكلمة انما هو من خصائص العربية ويقابله فى السوريانية ألف المد فى نهاية الكلمة (٥٢) ، وأنى لأبى عبيد الوصول الى هذه النتيجة ما لم يتبع المنهج المقارن ويطبقه على كلتا اللغتين ، يقول رحمه الله : «للعرب فى كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه ، منها ادخالهم الألف واللام فى أول الاسم •• كما أدخلوا فى الطور وحذفوا الألف التى فى آخر الحرف وهو فى السوريانية طورا على حال واحد فى الرفع

---

(٥٢) انظر فى أداة التعريف فى السوريانية :
بروكلمـــان Syrische Grammatik, S. 51
وفى أدوات التعريف فى اللغات السامية عامة •
موســكاتى An Introduction, p. 97

والنصب والخفض ، وكذلك اليم هو فى السوريانية بما فأدخلت العرب فيه الألف واللام وصرفته فى جميع الاعراب على ما وصفت » (٥٣).

(ب) بين العربية والحبشية .

سجلت الدراسة المقارنة للنظام الصرفى بين العربية والحبشية نقاط اتفاق واختلاف ، فمما اختلفت فيه اللغتان الأداة الدالة على النسب اذ هى فى العربية ياء مشددة مكسور ما قبلها وفى الحبشية كاف مكسورة مشوبة بعدها ياء Key وقد يستعملون « فى بعض اللهجات » التاء بدلاً من الكاف ، ومن نقاط الاتفاق استخدام التاء للدلالة على التأنيث والهمزة للدلالة على التعدية وحروف « أنيت » للدلالة على المضارعة (٥٤) .

ان الذى توصل الى هذه النتائج الصحيحة ليس بروكلمان أو موسكاتى أو غيرهما من علماء المقارنات من المستشرقين ولكنه العالم العربى الفذ أبو حيان الأندلسى « ٧٥٤ هـ » وقد سجل هذه النتائج فى كتاب له عن اللغة الحبشية (٥٥) سبق به دلمان وغيره بما يزيد على سبعمائة عام ، وقد أشار الى نتائج هذه الدراسة وسجلها فى بحره المحيط « فى التفسير » عندما قال :

---

(٥٣) كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى ج ١ ص ٧٧ .

(٥٤) انظر فى هذه السوابق واللواحق فى الحبشية كتاب دلمان A. Dillmann, Grammatik der Ath.,

(علامة التأنيث) ص ٢٤٤ (همزة التعدية) ص ١٧٠ (حروف المضارعة) ص ١٦٠ .

(٥٥) هذا الكتاب هو جلاء الغبش عن لسان الحبش وهو من الكتب التى لم تر النور بعد وقد أشار اليه أبو حيان فى البحر المحيط ج ٤ ص ١٦٣ .

« وأما قولهم هندي وهندكي فى معنى واحد وهو المنسوب الى الهند ، « فى قول الشاعر » :

ومقرونة دهم وكمت كأنها طماطم يوفون الوفاز هنادك

فخرجه أصحابنا على أن الكاف ليست بزائدة لأنه لم تثبت زيادتها فى موضع من المواضع فيحمل هذا عليه وانما هو من باب سبط وسبطر .

والذى أخرجه عليه أن من تكلم بهذا من العرب — ان كان تكلم به فانما سرى اليه من لسان الحبش لقرب العرب من الحبش ودخول كثير من لغة بعضهم فى لغة بعض والحبشة اذا نسبت ألحقت آخر ما تنسب اليه كانا مكسورة مشوبة بعدها ياء ، يقولون فى النسب الى قندى قندكى .. والى الفرس الفرسكى وربما أبدلت « الكاف » تاء مكسورة قالوا فى النسب الى جبرى جبرتى (٥٦) . وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش فى كتابنا المترجم عن هذه اللغة المسمى « بجلاء الغبش عن لسان الحبش (٥٧) . وكثيرا ما تتوافق اللغتان : لغة العرب

---

(٥٦) يؤخذ من تمثيل أبى حيان أن الحبشية كالعربية تحذف الياء الزائدة من المنسوب اليه لأجل النسب وهذه ظاهرة عامة فى اللغات السامية كما يقول بروكلمان .

انظر : بروكلمان GVG I S. 398

(٥٧) فى احالة أبى حيان الى كتابه المذكور دليل على أنه لم يستوف طرق النسب الحبشية هنا وتختلف هذه الطرق باختلاف اللهجات أو المرحلة التاريخية التى مرت بها الحبشية .

انظر فى تفصيل ذلك كتاب بروكلمان السابق ج ١ ص ٤٠٠ (الفقرة ٢٢١) .

ولغة الحبش فى قـواعد من التـراكيب نحوية « وصرفية » كحروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية » (٥٨) .

أما أن هذه التوافقات صحيحة أثبتتها الدراسات الحديثة التى اتبعت المنهج المقارن فهذا ما يوضحه الجدول التالى :

الأداة الصرفية	مثالها فى العربية	مثالها فى الحبشية
ياء المضارعة	يقتل	yeqtel
	يأخذ	ya'ahaz
تاء المضارعة	تقتل	teqtal
همزة المضارعة	أقتل	ɔeqtel
نون المضارعة	نقتل	neqtal
همزة التعدية	أقام	ɔaqáma
		ɔaqɔma
تاء التأنيث		
(أ) فى الأسماء	قائمة	Ledat (لدة)
	بنت	nogast (ملكة)
(ب) فى الأفعال	قتلت (٥٩)	qatálat

---

(٥٨) البحر المحيط ٤/١٦٣ .

(٥٩) انظر الجداول الكاملة لتصريف المضارع من الماضى فى اللغتين: موسكاتى An Introduction P 143
وبروكلمان : فقه اللغات السامية (ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب) ص ١٢٤ .

ملاحظات حـول الجدول :

١ ــ توجد فى الحبشية صيغة أخرى للمضارع يحتفظ فيها الفعل بحركة الفاء التى كانت موجوة فى الماضى وهى الفتحة فتصبح الصيغة الأولى مثـلا Yeqátel ، ويطلق على هذه الصورة الثـانية « حالة الرفع » أما الصيغة التى أثبتناها فيطلق عليها حـالة النصب ومن الواضح أنه لا علاقة بين حرف المضارعة ــ الذى يتفق تماما مع نظيره فى العربية ــ ووزن المضارع فى الحبشية فى الحالتين المشـار اليهما « أى حالة النصب وحالة الرفع » .

٢ ــ حرف المضارعة مكسور بامالة فى اللغة الحبشية غالبا ولكنه مفتوح فى اللغة العربية الفصحى ، واذا وضعنا اللغات السامية الأخرى فى اطـار الموازنة اتضـح أن الكسر هو الأصل فصيغة المضـارع فى العبـرية هى Yeqtol وفى الآرامية Yiqtul وفى الآكادية Iqbur فى المضـارع المسـتمر و Iqabbur فى المضـارع المتحمض للدلالة على الحال(٦٠) .

٣ ــ يوحظ فتح حرف المضارعة فى اللغة الحبشية اذا كانت فاء الفعل حـرفا حلقيا كما فى المثـال الثانى فى الجدول وكما فى قـولهم Yehawir (بمعنى يذهب) وأصلها كمـا يقول بروكلمـان (فقـه اللغات السـامية ص ٦٤) Yahawir ، أما العـرب الذين يكسرون أوائل الأفعـال المضارعة فانهم يجعلون تأثـير حرف الحلق على حركة عينى الكلمة لا على حركة حرف المضارعة وذلك طردا للباب على وتيرة واحـدة .

---

(٦٠) انظر المرجعين السابقين فى نفس المواضع المشار اليهـا فى الهامش (٥٩) وقد أخذت الفصحى تحريك حرف المضـارعة بالفتح من لغة أهل الحجاز وهو مكسور فى بقية اللهجـات لـ انظر الكتـاب لسـيبويه ج ٤ ص ١١٠ « هذا باب مـا تكسر فيه أوائل الأفعـال المضارعة ... وذلك فى لغة جميع العرب الا أهل الحجاز ... الخ » .

٤ ــ وفيما يتعلق بتاء التأنيث اللاحقة للفعل فانها ساكنة في اللغتين ، أما تاء التأنيث اللاحقة للأسماء الحبشية فيغلب عليها سكون ما قبلها بخلاف العربية التي يغلب فيها فتح ما قبل تاء التأنيث(٦١) .

٤ ــ في مجال النحو :

توصل اللغويون العرب الى نتيجة عامة تتعلق بمقارنة النظام النحوي للعربية بالنظم النحوية المختلفة التي عرفوها فذكروا أن الاعراب من خصائص اللغة العربية ، يقول ابن فارس :

« من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب ، الاعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام ... » ان هذه النتيجة ما كان يمكن الوثوق بها لو أن ابن فارس أغفل النظر في اللغات الأخرى التي زعم قوم أن بها اعرابا وقد رد على هؤلاء الزاعمين « بأن هذا كلام لا يعرج على مثله وانما تشبه القوم آنفا بأهل الاسلام فأخذوا من كتب علمائنا وغيروا بعض ألفاظها ونسبوا ذلك الى قوم ذوي أسماء متكررة .. وادعوا مع ذلك أن للقوم شعرا وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء ، نزر الحلاوة ، غير مستقيم الوزن » (٦٢) .

ان العبارة الأخيرة في هذا النص تدل على أن ابن فارس قد قرأ تلك اللغات التي زعم أن بها اعرابا ثم وازن بينها وبين العربية فلم يجد بها اعرابا كاعراب العربية ومن ثم حكم بأن الاعراب المعروف من رفع ونصب وخفض هو من خصائص اللغة العربية .

---

(٦١) انظر أمثلة عديدة سكن فيها ما قبل تاء التأنيث في العربية ، ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية للدكتور اسماعيل عمايرة ص ٣٩ .

(٦٢) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ٧٦ ، ٧٧ .

نعم كان هناك اعراب من نوع ما فى بعض اللغات السامية شقيقات العربية ولكنه كان مقصورا على بعض الحالات الاعرابية دون بعض (٦٣) وكم كان أبو عبيد القاسم بن سلام مصيبا عندما أشار الى أن العربية تلزم الاسم الاعراب فى كل وجه بخلاف غيرها التى اما أن تكون قد فقدت الاعراب تماما أو فقدته فى بعض الحالات ، يقول رحمه الله :

للعرب فى كلامهما علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه.. منها الزامهم اياه « أى الاسم » الإعراب فى كل وجه فى الرفع والنصب والخفض » (٦٤) .

لقد صدق البحث الحديث ما ذهب اليه هذا العالم الجليل ويكفى لاثبات ذلك ما ذهب اليه رائد الدراسات المقارنة فى اللغات السامية بروكلمان عندما قال : « قد احتفظت العربية القديمة (الفصحى) بحالات الاعراب الثلاث الرئيسية سالمة ... وفى الحبشية بقيت حالة الرفع فى الأعداد لا غير مثل Ahadù « واحد » ، أما حالة النصب بالنهاية a أى الفتحة القصيرة فقد بقيت حية كلية غير أن دائرة استعمالها قد اتسعت ... وفى العبرية لم تبق كذلك الا حالة النصب بالعلامة â أى الفتحة الطويلة غير أنها لا تدل على حالة المفعول المباشر ، بل على الاتجاه المكانى نحو شىء ما مثل Bàbèlà « الى بابل » ، .. وفى الآرامية ، لم يبق فيما عدا حالة النصب فى

---

(٦٣) ولا يستثنى من ذلك سوى الاكادية التى حافظت كالعربية على وجوه الاعراب فى الاسم رفعا ونصبا وخفضا واختصت العربية دونها باعراب المضاف والفعل المضارع ، انظر فى ذلك : برجشتراسر ، التطور النحوى ص ٧٥ .

(٦٤) عن كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى ج ١ ص ٧٧ .

آراميـــة العهد القـــديم فى allâ « فـــوق » الا بعض حـــالات الاعراب المتجمدة قبل الضمائر المتصلة » (٦٥) .

وفيما يتعلق بتركيب الجملة وترتيب أجزائها فقد أشار أبو حيان الى توافقات فى قواعد من التركيب نحوية بين العربية والحبشية (٦٦).

٥ ــ فى مجال المفردات :

لم تقتصر جهود اللغويين العرب فى مجالات المقارنة على الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية وانما تناولت أيضا كثيرا من المـــواد اللغوية التى تشترك فيها العربية مع اللغات الأخـــرى ، فتحدثوا عن توافق اللغات (٦٧) وعن الألفاظ المعربة وطرق تعريبها ، وقـــد صرح الثعالبى فى فقه اللغة باتباعه منهج الموازنة وهو يدرس بعض المفردات وقد عنون لذلك بما يشير الى منهجه اذ قال :

« الباب التاسع والعشرون فيما يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية وقد قسم هذا الباب الى خمسة فصول :

الأول : فى ذكر « أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة مثل : الكف والساق والفراش الخ .

---

(٦٥) فقه اللغات السامية « ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب » ١٠٠ ــ ١٠٢ .

(٦٦) انظر البحر المحيط ١٦٣/٤ وهو يريد بالنحو ما يشـــمل الصرف ، وانظر فى تركيب الجمل فى اللغات السامية برجشتراسر ، التطور النحوى ص ٨١ وما بعدها .

(٦٧) انظر الباب الذى عقده السيوطى لذلك فى المزهر جـ١ ص٢٦٦

الثانى : فى أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها مثل : الزكاة والحج ، المسلم الخ •

الثالث : فى ذكر أسماء قائمة فى لغتى العرب والفرس على لفظ واحد مثل : التنور (٦٨) ، الدين الخ •

الرابع : فى ذكر أسماء تفرد بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب الى تعريبها أو تركها كما هى مثل الكوز والابريق (٦٩) •

الخامس:فيما حاضرت به مما نسبه بعض الأئمة الى اللغة الرومية مثل : القسطاس والقنطار (٧٠) الخ •

لقد أكمل البحث اللغوى الحديث تلك البدايات المباركة التى نهض بها العلماء العرب فاتسعت دائرة المقارنة لتشمل الألفاظ المشتركة فى العربية والعبرية والآرامية والحبشية والأكادية واستطاع العلماء بهذه المقارنة التوصل الى القوانين الصوتية والمعايير الدلالية التى تحكم العلاقة بين هذه المفردات فى اللغات موضوع المقارنة ، ومن أمثلة ذلك تلك القائمة التى ذكرها برجشتراسر فى ذيل كتابه عن اللغات السامية (٧٢) وربما اقتصرت المقارنة على قوائم المفردات فى لغتين

---

(٦٨) ذكر ابن جنى فى الخصائص (٣/٢٨٥) أن التنور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم •

(٦٩) انظر فى معانى الابريق فى العربية والفارسية الألفاظ المشتركة فى العربية للدكتور أمين فاخر ص ١٣ و ٨٢ •

(٧٠) انظر فقه اللغة للثعالبى ص ٣٠٤ ـ ٣٠٧ •

(٧١) انظر فى هذين اللفظين فرنكل AFW S. 184 , 198 , 203

(٧٢) انظر برجشتراسر Finfuhrung, S. 181

اثنتين (٧٣) أو على ألفاظ معينة في هاتين اللغتين (٧٤) .

تطبيقات انهج المقارن في العصر الحديث :

وفي العصر الحديث استمرت الدراسات المقارنة بشقيها : المقارنات التاريخية والموازنات التطبيقية ، ولا يتسع المجال هنا لذكر كل الأعمال التي صدرت عن العلماء العرب أو المستشرقين في المجالين ومن ثم فسوف نكتفي بابراز أهمها على النحو التالي :

أ ــ في المقارنات التاريخية :

من أبرز الأعمال في هذا المجال ما كتبه كل من بروكلمان ونولدكه وبرجشتراسر وأوليري ورايت وموسكاتي .

وقد وردت في ثنايا البحث أسماء مؤلفات كل من بروكلمان وبرجشتراسر وموسكاتي(٧٥) ، أما نولدكة فله أعمال كثيرة في المقارنات أهمها :

---

(٧٣) انظر الدراسة المقارنة للألفاظ العبرية والعربية التي أعدها: غوليوم في A. Guilaume, Webrew end Arabic المنشورة في مجلة بين النهرين ص ٣ ــ ٣٥ (العدد الأول) ١٩٥٩ وفي العددين الثاني والثالث تكملة لهذه الدراسة من ص ٥ الى ص ٣٥ ، في العدد الثاني وفي الثالث من ص ٢ الى ص ١٨ .

(٧٤) انظر ج ٢ من رسالة الدكتور حامد الشنبيري عن الألفاظ العربية والعبرية الواردة في قصة سيدنا يوسف في القرآن الكريم والتوراة ص ٩٦٥ الى ١١١٣ .

(٧٥) انظر أسماء هذه المؤلفات كاملة في المراجع الأجنبية للبحث .

« بحوث فى علم اللغات السامية » •

Beitrâge sur semitischen sprachwissenschaft

وكتـــابه الآخر : Neue Beitrâge zur Sem. Sprachw

« بحوث جديدة فى علم اللغات السامية » •

و لـ « أوليرى » كتاب

The Comparative Grammer of the Semitis Languages

« النحـــو المقارن للغات السامية »

أما وليام رايت فقد ألف قرب نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٠)

Lectures on the Compartive Crammer of the Sem. Languages

أقدم كتاب فى المقارنات السامية وهو :

« دروس فى النحو المقارن للغات السامية »(٧٦) •

أما عن المؤلفات العربية فاننا لا نجد كتابا شاملا فى المقـــارنات السامية(٧٧) وان كنا لا نعدم بعض البحوث التى تتناول جانبا معينا من جوانب المقارنة كما فى « المدخـــل الى علم الأصـــوات ، دراســـة مقارنة »للدكتور صلاح الدين صالح حسنين ، و « ظاهرة التأنيث » بين اللغة العربية واللغات السامية للدكتوراسماعيل أحمد عمـــايرة ، وقد تضمنت ـــ عدا ذلك ـــ بعض المؤلفات العربية فصولا مهمـــة عن المقارنات السامية نذكر منها :

ـــ « علم اللغة العربية ، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التـــراث

---

(٧٦) انظر فى القيمة العلمية للكتابين الأخيرين ، برجشتراسر ، التطور النحوى ص ٥ وانظر أيضا قائمة بأهم المؤلفات فى المقـــارنات السامية فى علم اللغة العـــربية للدكتـــور محمود حجـــازى ص ٣٥٢ ومـــا بعدها وموسكاتى • An Introduction, p. 171-185

(٧٧) تناول الدكتوران على عبد الواحد وافى فى كتابه «فقه اللغة» وابراهيم السامرائى فى كتابه « فقه اللغة المقارن » دراسات هامـــة عن المنهج المقارن فى اللغـــات السامية •

و« اللغات السامية » للدكتور محمود حجازى (انظر الفصول من السابع الى الحادى عشر) .

ـ مناهج البحث فى اللغة والمعاجم للدكتور عبد الغفار حامد هلال (انظر الصفحات من ٥٠ ـ ٨٦) (البحث المقارن فى اللغات السامية) .

ـ الضمائر فى اللغة العربية للدكتور محمد عبد الله جبر (انظر الباب الأول فى تحليل صيغ الضمائر العربية ومقارنتها بنظائرها فى اللغات السامية) .

ـ فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب (الفصل الأول عن « اللغة العربية واللغات السامية ») .

أما المقارنات التى تضمنت لغتين فقط من اللغات السامية فهناك دراسات عديدة خاصة فيما يتعلق بمقارنة اللغتين العربية والعبرية وأقدم ما ألف فى ذلك كتاب : الموازنة بين العبرية والعربية لاسحاق بارون فى القرن الحادى عشر الميلادى ثم ظهرت بعد ذلك دراسات تتناول جوانب معينة فى اللغتين كما فى الدراسة المعجمية المقارنة للعربية والعبرية لـ « غوليوم » وكما فى دراسة النصوص المتصلة بسيدنا يوسف فى القرآن الكريم والتوراة ، دراسة صوتية ودلالية مقارنة . للدكتور حامد الشنبرى وقد ذكرنا هاتين الدراستين فيما سبق(٧٨) .

ب ـ فى علم الموازنات اللغوية التطبيقية :

لقد زاد الاهتمام فى السنوات الأخيرة بهذا الفرع من الدراسات

---

(٧٨) انظر الدراسات الخاصة ببعض الجوانب فى اللغتين العربية والعبرية والنصوص المتصلة بسيدنا يوسف ، للدكتور حامد الشنبرى ج ١ ص ٣ .

اللغوية التطبيقية نظرا لأهميته المتزايدة فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ومن أهم الدراسات فى هذا الفرع :

ـ تعلم اللغة الأردية الصوتى والصرفى والنحوى ، دراسة لغوية (تقابلية) للدكتور عبد الله الدنوى .

وقد تناول الباب الخامس من هذا الكتاب أوجه التماثل والتشابه والاختلاف بين اللغة العربية واللغة الأردية ، كما تحدث عن الأخطاء الشائعة عند الناطقين بالأردية عندما يتعلمون العربية ، وقد تضمن الكتاب عددا من الملاحق التى تشير الى الأنماط العربية فى لغة « الأردو » .

ـ العربية والهوسا ، نظرات تقابلية للدكتور مصطفى حجازى وقد وازن المؤلف فى الباب الأول بين أصوات اللغة العربية ولغة الهوسا وذكر ما تتفق فيه اللغتان وما تنفرد به كل منهما وفى الباب الثانى عن التغيرات الصوتية فى اللغتين ، أما الباب الثالث فقد تناول فيه القضايا الصرفية المتعلقة بالأسماء والأفعال فى اللغتين وقد صدر هذان الكتابان عن « معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها » بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

ـ فى كتابها « دراسات صوتية » خصصت الدكتورة تغريد عنبر الفصل الخامس لدراسة الصوامت فى النظم اللغوية (ص ٢٤٧ ـ ص ٣١٢) وقد وازنت بين النظام الصوتى العربى فى الصوامت ونظائره فى لغات أخرى عديدة .

ـ صدرت عن معهد الخرطوم « معهد اللغة العربية الدولى » مجموعة من الدراسات التقابلية الهامة بين العربية وكل من : النبغالية والتايلندية والتشك والأوردية والجرانية والصومالية والأندونيسية(٧٩) .

---

(٧٩) تشكل هذه الدراسات التقابلية مجموعة من البحوث التى =

عـــود على بدء :

نعود الآن الى التســاؤلات التى وردت فى صــدر هذا البحث ، ولعلنا قد أجبنا من خلالنما نتقدم عن المتساؤلين : الأول « وهو : هل يتعارض الدرس اللغوى المقارن مع الدراسات التى نهض بها القدماء بحيث يكون السالك لهذه الطــريقة فى الدرس اللغوى متمــردا على أصــحاب المدرسة اللغوية القديمة « والأخــير » : « وهو خاص بما إذا كان القدماء من علماء العربية بمعزل عن طريقة المقارنة وأن هــذه الطريقة من مستحدثات الحضارة الغربية » ، كما اتضح أيضا أنه ليس من أهداف المقارنة — قديما وحديثا — الوصول الى قواعد معيــارية يجب أن يلتزم بها المتحدثون وأن الهدف الأساسى للمقارنة هو الوصول الى تفسير علمى للظــواهر اللغــوية من خلال القــوانين التى يتم اكتشافها كما أن المقارنة تساعد على تتبع انتقال الألفاظ من لغة لأخرى ومن ثم يستطيع عالم اللغة أن يؤرخ لهذه الألفاظ تأريخيا صحيحا(٨٠)

كما أن من أهداف المقارنة أيضــا الكشف عن مرحلة تاريخية تســبق أقدم النصوص التى أمكن العثور عليها ، ويتعلق بذلك أيضــا الكشف عن أوجه التداخل الحضــارى والعلاقات التــاريخية التى مرت بهــا الشعوب الناطقة — أو التى كانت ناطقة — بألسنة ذات أصــل واحد أو منتمية الى عائلة لغوية واحدة ، فاللغة الواحدة كما يقول موسكاتى

= تقدم بها أصحابها لنيل درجة الماجســتير من معهــد الخرطوم وكلها تتناول المستوى الصوتى فقط وقد أشرفت عليها الدكتورة تغريد عنبر ، انظر فى أسماء المؤلفين والعناوين الكاملــة لهذه المؤلفات دراســات صوتية للدكتورة تغريد عنبر جـ ١ ص ٣٦٤ .

(٨٠) انظر فى المقارنات اللغوية وتاريخ الألفاظ ، كتاب الدكتــور حجازى علم اللغة العربية ص ٢١٣ .

هى أهم الخصائص التى تربط بين الساميين اذ « تتميز مجموعة الشعوب السامية عن غيرها بصفات معينة مشتركة بينها ، وهذه الخصائص لغوية قبل كل شىء فبين اللغات السامية من التشابه الكبير فى الأصوات والصيغ والتراكيب والمفردات ما لا يمكن معه أن ننسب تقاربها الى حدوث اقتباسات فيما بينها فى العصور التاريخية ، وانما لا سبيل الى تفسير هذا التقارب الا بافتراض أصل مشترك لها »(٨١) وبهذا يتضح أنه ليس من أهداف المقارنة الوصول الى قواعد وانما الى تفسير أمور تتعلق بتاريخ اللغة والتاريخ العام للحضارات والشعوب. أما فيما يتعلق بجدوى تطبيق المنهج ومدى ما يدفعه من مضرة أو يجلبه من منفعة فاننا نقول :

ان المنهج المقارن كأى منهج آخر قد يوصلنا الى نتائج عظيمة القيمة فيما يتعلق بدراسة العربية اذا خلصت نية من يستخدمه ، كما أنه قد يكون وسيلة للهجوم والانتقاص من شأن العربية اذا كان من يطبق هذا المنهج ذا هدف خبيث ، وفى هذه الحالة الأخيرة فان البحث الذى يتوسل بهذا المنهج تلوى فيه الحقائق ويستغل جهل عامة القراء باللغات موضوع المقارنة أو بالأصول النظرية لمنهج وهنا — فان دراسة كهذه — تنتفى عنها صفة الموضوعية التى هى من سمات البحث العلمى عامة(٨٢) ولايكون العيب من ثم فى المنهج ذاته وانما فى شخص من يطبقه ، وقد ينجم الخطأ عن استخدام وسائل المقارنة أو المنهج المقارن فى حالات لا يمكن أن تطبق فيها مبادئه(٨٣) وقد اجتمع

---

(٨١) الحضارات السامية القديمة ص ٤٤ « ترجمة الدكتور يعقوب بكر) .

(٨٢) انظر فى خصائص « العلم » ومنها الموضوعية والشمول والاقتصاد الخ كتابنا مدخل الى علم اللغة الحديث ص ٣٧ .

(٨٣) علم اللسان لانطوان ماييه ترجمة الدكتور محمد مندور .

أم كانت لغاتهم مما ينتمي الى فصائل لغوية أخرى قريبة كالفصيلة الحامية أو بعيدة كالهندية الأوربية مثال الصنف الأول المسلمون الناطقون بلغات افريقية كالهوسا واليوربا والسواحيلية ، ومثال الآخر المسلمون الذين يتحدثون الأوردو أو الفارسية الخ .

أليس تذليل العقبات أمام تعليم أبناء هذه اللغات اللغة العربية أو تعلم العرب لهذه اللغات من المنافع المباشرة التي نجنيها من تطبيق هذا المنهج ، أليس تعليم العربية للمسلمين الناطقين بهذه اللغات من الضرورات التي يحتمها علينا الواجب الديني ، أليس تعلم العبرية بطريقة صحيحة من الواجبات الحتمية التي تفرضها علينا الظروف التاريخية والسياسية التي تمر بها أمتنا العربية .

ان تعليم وتعلم هذه اللغات لا يمكن أن يتم بطريقة علمية سليمة الا اذا كان هناك أولا العالم الكفء الذي يضع يده على مواطن الاتفاق والاختلاف بين اللغة الأم واللغة المدروسة ، ثم هناك — ثانيا — المدرس الكفء وواضع المناهج المتمرس الذي يراعي ذلك في عملية التعليم .

انه ينبغي أن يكون من الوضوح بمكان أن الهدف الأساسي للمؤسسات التي تقوم باعداد مدرس اللغة العربية لا ينبغي أن يكون فقط هو تعليم العربية للعرب فقط وانما أيضا تعليم العربية لغير العرب وقد يكون الأخير أجدى في نشر الاسلام وأنفع في ارساء العقيدة الصحيحة لدى الملايين من المسلمين الذين لا يعرفون من العربية سوى ما تستقيم به عباداتهم وربما تقصر هممهم دون ذلك .

أما دفع المضرة التي نستطيع أن نتذرع به الشبه التي حاول كثير من المستشرقين وأذنابهم أن يخدعوا بها من قلت معرفتهم باللغات السامية اعتمادا على أن سلاح المقارنة لا يملكه سواهم وأن على

غيرهم أن يسمع فقط ، وليس بمجد على أى حال أن نعتمد فى رد دعاوى هؤلاء وأمثالهم على العاطفة الدينية المشبوبة لأنهم ينفثون سمومهم بين غير المسلمين من أهل أوربا لكى يشوهوا صورة الاسلام فى عقول أناس لو أتيحت لهم معرفته معرفة صحيحة لما ترددوا لحظة فى اعتناقه لأنهم تواقون الى الحقيقة التى غيبت عنهم عمدا ، وسأكتفى هنا — لضيق المساحة المتاحة — بمثال واحد يتمثل فيما زعمه نولدكه من أن محمدا ﷺ قد أخطأ فى استعمال ألفاظ عديدة فلم يستخدمها فى القرآن الاستخدام الصحيح ، وليس هذا بمستغرب على أحفاد من قال آباؤهم « ان الله ثالث ثلاثة » تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • « كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا » ولكن المستغرب حقا هو أن نهمل الرد عليهم بنفس أسلوبهم مضافا اليها ما نعرفه من أصول العربية وقوانينها •

لقد زعم نولدكه أن هناك خطأ أو سوء فهم فى استعمال الرسول ﷺ للفظ « حنيفا » الذى يعنى الكافر أو الصابىء فى السوريانية ، تلك اللفظة التى ورد بها القرآن فى معنى « المؤمن » والخديعة الكبرى هنا أن هناك بالفعل نصوصا سوريانية كتبت فى عصر المسيح عليه السلام وقد وردت فيها الكلمة بمعنى « الصابىء » أو الكافر ••• هنا وجد نولدكه ضالته المنشودة ليشكك فى القرآن ، بيد أنه أغفل جانبا مهما وأصلا ثابتا من أصول المنهج المقارن ألا وهو أن المقارنة انما تتم بين أقدم الكلمات فى أقدم الصور(٨٩) أى انه لابد أن يؤخذ

---

(٨٨) انظر زعم نولدكه فى Neue Beit S. 30

(٨٩) انظر فى أصول المنهج المقران ، ماريوباى ، أسس علم اللغة ص ٢٣٣ •

فى الاعتبار تطور معانى الكلمات التي لا تسير فى اللغات المختلفة على نمط واحد .

نعم كانت هذه الكلمة فى السوريانية تعنى الكفر ولكن كفر من ؟ الكفر فى نظر الوثنيين الذين كانوا ينظرون الى اتباع المسيح باعتبارهم صابئة واللمة فى أقدم معانيها تعنى الميل أو اعوجاج القدم ومن ذلك سمى « الأحنف بن قيس » وهى من كلمات الأضداد وقد أشار الى ذلك الجوهرى عندما قال : « والحنيف المسلم وقد سمى بذلك كما سمى الغراب أعور »(٩٠) وقد اكتسب اللفظ هذه الضدية نظرا لأنه فى الأصل يدل على الميل والانحراف ثم خصص استعماله فصار يعنى أحيانا الميل من الخير الى الشر وأحيانا عكس ذلك كما جاء فى اللسان عن أبى عمرو(٩١) وعلى هذا فأصحاب الدين القديم كانوا ينظرون الى من دخل فى الدين الجديد على أنه صابىء أى مال عن الخير — فى زعمهم — الى الشر وعندما ترك بعض السوريان الوثنية الى اتباع السيد المسيح كانوا حنفاء فى نظر الوثنيين الذين دونوا النصوص التى وردت بها هذه الكلمة ذلك أنهم تركوا دين آبائهم وانحرفوا عنه ولكنهم كانوا مؤمنين مستقيمين فى نظر أتباع السيد المسيح وقد استعمل العرب هذه الكلمة فى المعنى الجديد أى أتباع السيد المسيح مع المحافظة على استعمالها فى المعنى الحسى أيضا وهو الاعوجاج .

لقد أغفل نولدكه أن الكلمة قد تحول معناها من الدلالة على الكفر الى معنى اتباع الدين القيم سواء أكان ذلك من قبل ابراهيم عليه السلام أو من قبل أتباع عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

---

(٩٠) الصحاح ٤/١٣٤٧ .

(٩١) لسان العرب ٩/٥٧ (ط . بيروت) .

يضاف الى ذلك أن هذه الكلمة عربية أصيلة وليست مستعارة لا من السوريانية ولا من غيرها وأنها قد تطورت في معناها قبل أن ينزل بها القرآن الكريم ، ولو سلمنا جدلا بأنها مقترضة من السوريانية لما كان هذا خطأ على الاطلاق لأن استعمالها في معنى الايمان بالله أي في المعنى الجديد قد وجد قبل الاسلام بفترة طويلة اذ عرف العرب « الحنفاء » وورد لفظ المتحنف بمعنى العابد في الشعر الجاهلي(٩٢) •

ان الخطأ الذي وقع فيه نولدكه هنا هو أنه فصل بين الجانب التاريخي والجانب المقارن وكان ينبغي مراعاة الأمرين معا حتى تؤتي المقارنة نتائج صحيحة •

وأخيرا فاننا لا نقول مع الدكتور أحمد عبد الله هاشم : « انه لو ثبت أن للعربية من تطبيق هذا المنهج منفعة تجلب أو مضرة تدفع لكان لزاما علينا التمرد على أصحاب المدرسة اللغوية القديمة والنزوع الى ما عساه يضيف الى العربية قاعدة جديدة » •

ولكنا نقول بكل ثقة واطمئنان : قد ثبت بما قدمناه أن للعربية منفعة تجلب ومضرة تدفع ولكن ذلك يجعلنا نتمسك أكثر بتراث أسلافنا لأننا بهذا التراث نستطيع أن نقوم الخطأ الذي قد يقع فيه — أحيانا — بعض من يطبق — بجهل أو سوء نية — هذا المنهج على اللغة العربية ، أننا بذلك أيضا نكمل المسيرة التي بدأها أسلافنا العظماء ونساهم في نشر ديننا وتقديمه للناس جميعا دون زيف أو افتراء •

---

(٩٢) يقول ابن جران العود (اللسان ٩/٥٧) •
وأدركن أعجازا من الليل بعدما أقام الصلاة العابد المتحنف

نداء ورجاء :

وأخيرا فاننا نتوجه فى ضوء النتائج التى توصل اليها هذا البحث ــ الى المسئولين وكلهم ــ بفضل الله ــ من الغير على العربية الحريصين على نشرها فى ربوع الدنيا خدمة لهذا الدين الحنيف من ناحية وحرصا على اعلاء شأن الأمة التى نشرف بالأنتماء اليها من ناحية أخرى بعدة مطالب نأمل أن تنال منهم ما تستحقه من رعاية واهتمام ، هذه المطالب هى :

١ ــ اعادة مادة « النحو المقارن » أو « علم اللغة المقارن » الى سابق عهدها حيث كانت مادة اجبارية يدرسها طلاب كليات اللغة العربية .

٢ ــ ادخال مادة « علم اللغة التطبيقى » الذى يقدم خدمات جليلة لتعليم العربية لغير العرب ولتكن البداية « علم الموازنات اللغوية التطبيقية . Cofrontative ling ؛ الذى أنشئت له معاهد متخصصة فى دول العالم المتقدم .

٣ ــ اللغة العربية هى اللغة الوحيدة بين اللغات الكبرى فى العالم التى لم يكتب تاريخها بعد ، ولم يصدر لها حتى الآن معجم تاريخى يشمل تطور ألفاظها وعلاقات هذه الألفاظ بنظائرها فى اللغات الأخرى ، فهل آن الآوان لأن تقوم جامعة الأزهر بهذه المهمة وفيها ــ بفضل الله ــ كثير من المتخصصين الأكفاء الذين يستطيعون النهوض بهذا العمل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

د. عبد الفتاح البركاوى
كلية اللغة العربية بالقاهرة

قائمة بأهم المراجع

أولا : المراجع العربية :

ـ الابدال لأبي الطيب اللغوى ، ت عز الدين التنوخي دمشق ١٩٦٠ ٠

ـ الاحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ـ القاهرة د٠ت ٠

ـ أسباب حدوث الحروف لابن سينا ، ت عبد الرؤوف طه سعد ، القاهرة ١٩٧٨ ٠

ـ أسس علم اللغة لماريوباى ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر ، طرابلس ١٩٧٢ ٠

ـ أسس علم اللغة العربية للدكتور محمود حجازى القاهر ١٩٧٨ ٠

ـ أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل للدكتور عبد الغفار حامد هلال ، القاهرة ١٩٨١ ٠

ـ أصول تراثية فى علم اللغة للدكتور كريم زكى حسام الدين القاهرة ١٩٨٥ ٠

ـ الألفاظ المشتركة فى العربية ، دراسة معجمية احصائية ج ١ للدكتور أمين محمد فاخر ، القاهرة ١٩٨٣ ٠

ـ البحر المحيط (التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط) لأبى حيان بيروت د٠ت الناشر مكتبة النصر الحديثة بالرياض ٠

ـ التطور النحوى للغة العربية للمستشرق برجشتراسر مطبعة السماح ، القاهرة ١٩٢٩ ٠

ـ الحضارات السامية القديمة ، تأليف سبتينو موسكاتى ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، بيروت د٠ت ٠

ـ الخصائص لابن جنى ، ت محمد على النجار ، بيروت د٠ت (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ٠

ـ دراسات صوتية للدكتورة تغريد السيد عنبر الجزء الأول القاهرة ١٩٨٠ .

ـ الزينة = كتاب الزينة .

ـ سر صناعة الاعراب لابن جنى ، تحقيق الدكتور حسن هنداوى دمشق ١٩٨٥ .

ـ الصاحبى (فى فقه اللغة) لأبى الحسين احمد بن فارس ت : السيد احمد صقر ـ القاهرة ١٩٧٧ .

ـ الصحاح للجوهرى ت : احمد عبد الغفور عطار القاهرة ١٩٥٦ .

ـ ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية للدكتور اسماعيل احمد عمايرة ، عمان ـ الاردن ١٩٨٦ .

ـ عربى بين ثقافتين ـ مقال للدكتور زكى نجيب محمود منشور بجريدة الأهرام ، العدد ٣٧٤١٤ فى ١٩٨٩/٥/١٦ .

ـ العربية والهوسا ، نظرات تقابلية للدكتور مصطفى حجازى مطبوعات جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٩٨٥ .

ـ علم اللسان بقلم أنطوان ماييه ترجمة الدكتور محمد مندور منشور مع « منهج البحث فى تاريخ الآداب » ذيلا لكتاب النقد المنهجى عند العرب ـ القاهرة د.ت .

ـ علم اللغة العام لفرديناند دى سوسير ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز بغداد ١٩٨٨ .

ـ علم اللغة العربية للدكتور محمود حجازى ـ الكويت ١٩٧٣ .

ـ فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب الرياض القاهرة ١٩٨٣ .

ـ فقه اللغة للثعالبى ت : مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ١٩٧٢ .

ـ فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، الرياض ١٩٧٧ ٠

ـ فلسفة الحضارة الانسانية أو مقال في الانسان ، تأليف ارنست كاسيرر ، ترجمة الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦١ ٠

ـ في القرآن والعربية ، من تراث لغوي مفقود لأبي زكريا الفراء صنعة الدكتور احمد علم الدين الجندي ـ مكة المكرمة ١٤١٠ هـ ٠

ـ الكتاب لسيبويه ت : الأستاذ عبد السلام محمد هارون ط ثانية القاهرة ـ الرياض ١٩٨٢ ٠

ـ كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية تأليف الشيخ أبي حاتم الرازي ، ت حسين بن فيض الله الهمداني ، القاهرة ١٩٥٧ ٠

ـ كتاب العين للخليل بن احمد ت : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي بيروت ١٩٨٨ ٠

ـ لسان العرب لابن منظور ط بيروت ١٩٥٦ ٠

ـ لغات البشر لماريوباي ، ترجمة الدكتور صلاح الغربي القاهرة ـ نيويورك ١٩٧٠ ٠

ـ مدخل الى علم اللغة الحديث للدكتور عبد الفتاح البركاوي ط ٠ ثانية القاهرة ١٩٩٠ ٠

ـ المزهر لجلال الدين السيوطي ، شرح وضبط وتصحيح الأساتذة : محمد احمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٥٨ ٠

ـ المعرب للجواليقي ، ت الشيخ احمد محمد شاكر القاهرة ١٣٦١ هـ ٠

ـ مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ، ت : الأستاذ عبد السلام هارون ، طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٧٢ ٠

- مناهج البحث فى اللغة والمعاجم للدكتور عبد الغفار حامد هلال ، القاهرة ١٩٩١ .

- النصوص المتصلة بسيدنا يوسف فى القرآن الكريم والتوراة دراسة صوتية ودلالية مقارنة رسالة دكتوراه مخطوطة بجامعة أم القرى للدكتور حامد الشنبرى ١٩٨٨ م .

- نظام اللغة الأردية : اللفظى والصوتى والنحوى للدكتور عبد الله عباس الندوى ، مطبوعات جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٩٨٦ .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

- بروكلمان GVG =

C. Brockelmann, Grundriss der vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen Berlin 1908—1913

- بروكلمان Syr. Gr. =

C. Brockelmann. Syrische Grammatik Leipzig (Nachdruck) 1976

- برجشتراسر Einf. =

G. Bergstrasser, Einführung in der Semitischen Sprachen, München 1928

- كونراد Kleines =

R. Conrad, Kleines wörterpuch Sprachwissenschaftlicher Termini, Leipzig 1978

= Gram. ـ دلمان

A Dillmann, Grammatik der Äthiopischen Sprache, Graz, Austria 1959

= A F W ـ فرنسكل

S. Freankel, Die aramaischen Fremdwörter im Arabischen, Hildsheim 1962

= Handb. ـ هاندن

H. Jansen (u. a.) Handbuch der Linguistik, allgemine und angewandte Sprachwissenschaft, München 1975

An Introduction ـ موسكاتى

S. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammer of the Semitic Languages Phonology and Morphology. wiesbaden, 1964

= Beit ـ نولدكه

Th. Nöldeke Beiträge Zur Semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg. 1904

= neue Beit. ـ نولدكه

Th, Nöldeke Neue Beiträge Zur Semitischen Sprachwissenschaft Strassbwrg 1910

= Die Namen ـ نولدكه

Th. Nöldeke, Die Namen der aramaischen Nation und Sprache, in ZDMG 25 (1871) S. 113 – 131